

في أصل الهرمينوطيقا ودلالاتها الإشتقاقية: الإيتمولوجية

د/ نادر فاطمة

جامعة تيسمسيلت

الجزائر

البريد الإلكتروني: f.nader@univ-tissemsilt.dz

تاريخ النشر: 2023/12/30	تاريخ القبول: 2023/11/22	تاريخ الإرسال: 2023/11/04
-------------------------	--------------------------	---------------------------

مقدمة:

يبدو أن مجال الهرمينوطيقا قد اتسع من تفسير النصوص الدينية إلى تفسير كافة النصوص الأخرى، وهذا ما عمده إليه "شلايرماخر" حين أخرج الهرمينوطيقا من نطاق البحث في المعنى إلى وضع أسس تضمن الفهم المناسب للنص، كما نجد "دلتاي" يوازي ما بين الفهم والتفسير بالنسبة للهرمينوطيقا فيما يخص العلوم الإنسانية، أما "هيدغر" فيفسر لنا الهرمينوطيقا من خلال الفهم الأنطولوجي للوجود، لأن الفهم في نظره مرتبط بالبعد الأنطولوجي الذي هو بدوره مرتبط بوسيلة نقل الأفكار والمتمثلة أساسا في اللغة، وهذا ما اتبعه "غادامير" غير أنه يركز على ثلاثي التفسير والفهم والحوار، وبالنسبة "لريكور" فقد شرح الهرمينوطيقا على عدة مراحل مختلفة من كتاباته، لكن مغزاها العام كان يتمحور في إيضاح علي معنى الهرمينوطيقا من خلال قراءته لأهم التيارات التي عالجت الهرمينوطيقا.

ترتبت على هذا الاتساع في فهم الهرمينوطيقا تعريفات مختلفة تعود لمرجعيات دينية تيولوجية، وميثودولوجية قانونية، كما تطورت في الأزمنة الحديثة، إذا كانت الكلمة منذ البداية تشير إلى علم التأويل، وبخاصة مبادئ التفسير النصي القويم، غير أن حقل الهرمينوطيقا طرأ عليه تغير وتبدل بحسب الترتيب الزمني:

- نظرية تفسير الكتاب المقدس.
- ميثودولوجيا فقه اللغة العام.
- علم كل فهم لغوي.
- الأساس المنهجي للعلوم الإنسانية.
- فينومينولوجيا الوجود.

يعد كل تعريف من هذه التعريفات أكثر من مجرد مرحلة تاريخية، فكل تعريف هنا يشير إلى لحظة

هامية من لحظات التأويل أو مدخل إلى مشكلات التأويل.

استناداً إلى هذه الوضعية المتطورة لمفهوم الهرمينوطيقا قمنا ببلورة فكرة ورقتنا العلمية التي ستمحور حول دراسة أهم المرجعيات والاحداثيات الدينية التيولوجية الفلسفية لمصطلح الهرمينوطيقا والتوجهات الفلسفية المختلفة، إذ نجد عدة دراسات أجنبية تبنت الموضوع نذكر منها على سبيل المثال: الفيلسوف الكندي "جون غروندا" الذي كتب وبغزارة وإسهاب عن الهرمينوطيقا، بحيث يعد من أكبر المتخصصين في فلسفة التأويل المعاصرة، وهو أستاذ بجامعة موريال بكندا لديه عدة مؤلفات من أهمها: "الهرمينوطيقا، المنعرج الهرمينوطيقي للفينومينولوجيا، الذي ترجمه إلى العربية المترجم عمر مهيبل، و مؤلف "التأويلية" لترجمه جورج كتورة، والمتأمل في هذه المؤلفات يجد أن الفيلسوف جون غروندا قد أحاط بموضوع الهرمينوطيقا وأهم التطورات التي حدثت على هذا المصطلح من عدة جوانب، كما نورد دراسة أخرى لـ "ديفيد جاسبير" بعنوان 'مقدمة في الهرمينوطيقا' لترجمه وجيه قانصو، أما بخصوص الدراسات على المستوى العربي، فنجد عدة توجهات أملت بالمرجعيات والبوادر الأولى بظهور مصطلح التأويل والهرمينوطيقا، وفي المقابل نجد هناك رؤى ومواقف متضاربة ومختلفة نذكر على سبيل المثال: كتاب "إشكاليات القراءة وأليات التأويل" لنصر حامد أبو زيد"، كما وقعت بين أيدينا دراسة مهمة جداً للمؤلف المغربي سعيد بنكراد في كتابه: "سيرورات التأويل من الهرموسية إلى السيميائيات، بحيث نجده قد تناول أهم الأسس والمرجعيات المختلفة لمصطلح الهرمينوطيقا عبر أزمنة مختلفة

1- في أصل الهرمينوطيقا ودلالاتها الإشتقاقية: (الإيتيمولوجية)

تعود أصول ونشأة "الهرمينوطيقا" إلى العصور القديمة، وأما العصر اليوناني الكلاسيكي أرجعها على أنها علماً تفسيريّاً وأداة في قراءة نصوص الأدب الرسمي الذي يقوم على فهم وشرح وتلقين، شأن شعر "هوميروس"¹ وملاحمه؛ والهدف هو الكشف عن معانيها المتنوعة، بالرغم من فارق الزمان والمكان واختلاف اللغات. فهي عملية لغوية ترتقي بالخطاب من حالة الغموض والإلتباس، إلى حالة الوضوح والجلء والإكتشاف، غايتها منها في تيسير فهمه وإدراكه مهما كان هذا الخطاب إبداعاً إنسانياً أم وحي إله متعالي، وإستخدم مصطلح "الهرمينوطيقا" في الممارسات والأعمال والأثار الرسمية شعراً ونثراً من أجل القبض على وسائل القراءة والفهم المتمخضة عنها، كذلك إستعملت أيضاً في جل أصناف الإبداعات الفنية والحكايات

* الهرموسية : ديانة قديمة أسسها من يدعى "هرمس المصري"، أو هرمس مثلث العظمة "Hermes Trismegistus" وتنسب إلى كتب قديمة تسمى كتب طاطاً المثلث العظمة، مدونة باليونانية ولا يعرف أحداً أصلها. وهرمس هو الإسم الذي أطلقه اليونان على الإله "نحوت"، "Thoth" وسماه الأفلاطونيون المحدثون هرمس المثلث العظمة، أي له التعظيم ثلاث مرات، وترجم "فشنو" في العصور الوسطى الكتابات الهرموسية إلى اللاتينية وإعتبرها أصل الأفلاطونية. أنظر عبد المنعم الحفني، المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة في العربية والإنجليزية، الفرنسية، الألمانية، الإيطالية، الروسية، اللاتينية، العبرية، اليونانية، مكتبة مدبولي، القاهرة، مصر، ط3، 2000، ص908.

الأسطورية². أي تشمل كل أشكال الكلام بما فيها الأدب، وهذا أصبحت تأخذ بعداً كلياً وشمولياً. هنا يمكننا القول أنّ تحديد "الهرمينوطيقا" باعتبارها فن التأويل، إنّما يعني أنها تختص بالكشف عن المعنى الباطني الخفي المتخجّب وراء المعنى الظاهر الجلي في وحي الإله وفي الرموز والعلامات، وفي كل ما يخص التعايير الإنسانية من حركة أو كلمة.

. إنّ أصل "الهرمينوطيقا" يفضي بنا الآن إلى تحديد دلالتها الإشتقاقية:

تتفق معظم المعاجم المتخصصة والموسوعات بأنواعها على أنّ النشأة والظهور والأصل كان إغريقيا للمصطلح "هرمينوطيقا" أي يوناني الأصل، ولا يُعزّر على الاختلاف والتباين إلّا من ناحية ضبط دلالتها الإيتيمولوجيّة وتطورها. ورجع "برناردوبي"، "Bernard Dupuy" في مقاله "الهرمينوطيقا"، "Herméneutique". من تحديد أصلها الإغريقي الذي يُشتق ويُستنبط من كلمة "هِرْمِينِيَا"، والذي يعني التأويل، وكما نجد "جون غراندان"، "J. Grondin". والذي كان تحديده دقيقاً في ضبط الدلالة الأصلية وبصورة عامة لمفهوم "الهرمينوطيقا" الذي عده "فن تأويل النصوص" من خلال ضبط دلالتها الإشتقاقية من مرحلة لأخرى وبطريقة متدرجة مع أنه إمتلاكاً إتساعاً في المعنى والمفهوم بسبب الإطلاع الوافر والوعي والإدراك بنسبية كل التصورات الكونية، ويعتقد "جون غراندان" أن "herméneutique"، "الهرمينوطيقا" مشتقة من الفعل اليوناني "Hermeneuo" الذي يعني "الترجمة والتفسير والتعبير". ويفيد الفعل أو يعني الإتجاه إلى الفهم تيسيراً وإدراكاً³. وهذا فإن "جون غراندان" أعطى تعريفاً وتصوراً مضبوطاً عن "الهرمينوطيقا" وذلك من خلال تتبع دلالتها من مرحلة للأخرى.

كما نجد "جان بيبان" قد تناول في مقاله عن "الهرمينوطيقا القديمة" بتتبع وإستقصاء دلالة الفعل (Hermeneuein)، مشتقاته الأخرى من أسماء ومصادر ونعوت ترجع إلى نفس العائلة التي إشتقت منها عبارة: (Herméneutique)، شأن (Hermeneia) و(hermeneutikos) و(hermeneutes) و(hermeneus): "هيرمينا"، و"هيرمينيوس" و"هيرمينوتيس" و"هيرمينوطيكوس". وهنا نلاحظ أنه قد تتبع مراحل تطور وتغير في الدلالة في مختلف العصور الإغريقية وهذا يعود لعدة عوامل منها الترجمة أو التطور الذي حصل على الفلسفة الإغريقية⁴. ومنه إنّ عامل الترجمة له دور كبير في ضبط مفهوم "الهرمينوطيقا" والتطورات والتغيرات التي وقعت في البيئة اليونانية والعصر الإغريقي بمراحله المختلفة.

² - الحبيب بوعبد الله، مفهوم الهرمينوطيقا الأصول الغربية والثقافة العربية، مجلة الفكر العربي المعاصر، العدد 140 - 141، السنة الثامن والعشرون ربيع - صيف، 2007، ص110.

3 - الحبيب بوعبد الله، مفهوم الهرمينوطيقا الأصول الغربية والثقافة العربية، مرجع سابق، ص 111.

⁴ - الحبيب بوعبد الله، مفهوم الهرمينوطيقا الأصول الغربية والثقافة العربية، مرجع سابق، ص111.

والأمر الذي يستحق أن نقف عنده هو دراسة "جان بيبان" وانتباهه إلى ترجمة المصطلح الإغريقي إلى اللاتينية "interpretation"، إنزعاجه من هذا التغير والتبدل الذي طرأ على المصطلح، والذي أضحي يلعب دوراً سلبياً على "الهرمينيا" "Ihermeneia" بأن إمتلك من السابقة (inter) معنى الوسيط والتدخل وهو مفهوم قد شكل إنحرافاً دلاليّاً على المصطلح والتي لا يوجد لها في صيغتها اللغوية ما يدفع عنها من ذلك التبدل والتحول السلبي. ومنه كان معنى المصطلح الإغريقي تبعاً لذلك هو التأويل⁵. ومنه يشير "جان بيبان" إلى أن التغير الذي وقع على المصطلح والذي كان سلبياً على "الهرمينيا" بحيث اكتسب "inter" معنى الوسيط ويقول أنه شكل إنحرافاً دلاليّاً للمصطلح وخلل داخل بُنية "الهرمينوطيقا".

وهذا ما سمح أيضاً بأن تصبح "الهرمينوطيقا" تساوي أو ترادف "l'exégèse" للتفسير، ويرى "بيبان" أن المعنى الأصلي لعبارة "hermeneuein" والكلمات التي تنتهي إليها ليس التفسير باعتباره فعل دخول في قَصْدِيَّة النص أو الرسالة، بل هي غالباً تعني فعل "expression" التعبير ومن سماته أنه يتصف بالطابع الإنفتاح. وهنا نجد قد رجع إلى أعمال "أرسطو" و"فيلون الإسكندر" "philon dalexandrie" واللدان إستخداماً عبارة "الهرمينيا" بمعنى التعبير عن طريق اللغة، وتمثل "الهرمينيا" بواسطة تلك الأداة الطبيعية التي هي الصوت "Lavoix"⁶، فاللغة إذن تعبير (exprime=hermeneuei)، (التعبير=الهرمينيا) عن طريق اللسان وبوجود أعضاء صوتية أخرى تعبر عن الأفكار، وبهذه الصورة يكون مصطلح "hermeneuein" وكل المشتقات الأخرى لها نفس دلالة التعبير هو معنى "الترجمة" أي ترجمة لغة إلى أخرى، ويلاحظ أنه استخدم المصطلح في ترجمة النص التوراتي من العبرية إلى الإغريقية بنفس المعنى وفي سياق خاص وهو ترجمة النص المقدس⁷. إذن فالتعبير يرادف "الهرمينوطيقا" لأن اللغة والكلام ينشأ منها عدة تفسيرات وتأويلات ومعاني، وبالتالي فهي تعني شرح وتفسير ما يعتقده الإنسان أنه غامض.

ونجد أن أغلب وأكثر المعاجم والموسوعات اللغوية والإيتمولوجية والفلسفية، إستندت إلى ضبط دلالة مصطلح "الهرمينوطيقا" بالمعنى المتأخر الذي اتصفت به عبر مختلف العصور وفي مراحل متباينة وكما اكتسبته واتسمت به وإستقرت عليه. ولم يؤخذ بمعناها اللغوي الأصلي الذي كان محايثاً لها، فالتأريخ لهذا المصطلح كان في القرن الثامن عشر سنة 1777م⁸، وهنا تم تحديد معناها بأنها "هي التي تقوم على عملية تفسير النصوص بأشكالها (المقدسة والفلسفية وغيرها من النصوص)، التي تحمل في طياتها الطابع الرمزي وتأويلاته .

⁵ - المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

⁶ - المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

⁷ - الحبيب بوعبد الله، مفهوم الهرمينوطيقا الأصول الغربية والثقافة العربية، مرجع سابق، ص 111.

⁸ - المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

يقر "جون غروندان" أن المصطلح اللاتيني "hermenieutica" لم يظهر إلا أوائل العصر الحديث، سنة 1629م مع الفيلسوف "دانهاور"، "J. Dannhauer"، في كلامه عن البلاغة، وعليه يتبين أن القرنين 17 و18 هما اللذين إمتدت وإزدهرت فيهم هذا التخصص⁹. الهرمينوطيقا. وتبلور في خضم هذه الفترة عدة أشكال وأنواع من الهرمينوطيقا: "الهرمينوطيقا اللاهوتية"، و"الهرمينوطيقا الدنيوية"، و"الهرمينوطيقا الكلاسيكية" "فالهرمينوطيقا اللاهوتية" كانت تختص بالتفسيرات الدينية وبالنصوص المقدسة أشكالاً وأنواعاً، أم "الهرمينوطيقا الدنيوية" أو كما تسمى "الهرمينوطيقا المدنسة" هي التي تختص بالأدب الكلاسيكي الإغريقي واللاتيني، أما "الهرمينوطيقا القضائية" فهي التي تقوم على تجسيد القواعد والقوانين التي تسهر على تطبيق تلك البنود والمعاهدات التي تركز عليها، وتقررها القوانين القضائية.

وفيما يخص الحديث عن المجال الإيتيمولوجي لدلالة مصطلح "الهرمينوطيقا" نجد رأياً مغايراً ومختلف، له أتباعه منذ القديم والذي يربط بين مصطلح "الهرمينوطيقا"، "Hermeneutique" والإله الإغريقي "هرمس"، "Hermes"، أي في الإستدلال بوجود علاقة إشتقاقية بين دالتين، ويعتبر "هرمس" رسول الآلهة لدى اليونانيين هو الذي ينقل الوحي والكلام من الإله إلى البشر فهو يلعب دور الوسيط بين الإله والبشر، والتي ترجع له الأسطورة اليونانية في خلق الكلام والكتابة¹⁰، واللذين يعتبران الركيزة الأساسية والمفتاح السري لعملية التأويلية بامتياز.

ونجد أن "هرمس" قد لعب دور الوسيط وأيضاً دور المترجم أو المفسر أو الشارح أو المؤول "l'interprete"، وهنا نقول أنه يترجم ويشرح ويفسر وحي الآلهة المتعالي الرمزي فيكون فيه غموض؛ فهو الذي يُمِيطُ اللثام عن هذا المُتَحَجِّبِ المُتَخَفِي فيكشف المُتَحَجِّبِ وَيَجْلُؤُ الغامض¹¹؛ وهرمس هو الكائن المتقلب والغامض، فقد كان أبا لكل الفنون، وربما لكل اللصوص في الوقت ذاته، ولقد كان شيخاً وشاباً في ذات الوقت¹²؛ وإله "هرمس" هو المبسط والشارح والميسر للغة الآلهة فيظهر الغامض ويكشف المتحجب المهم.

و"جان بيبان" نجده ينقد هذا الفهم ويحتج عليه، وينقد أصحابه الذين يدعون بوجود علاقة بين الآلهة "هرمس" ومصطلح "الهرمينوطيقا" دون وجود أدلة مقنعة تثبت تلك العلاقة؛ الإشتقاق والدلالة بين "هرمس" والفعل الإغريقي "hermeneuein"، حتي وإن كان هذا الاعتقاد موجود منذ القدم، ويرر نقده وموقفه بموقف وكلام الفيلولوجيين المُحدثين، الذين لا يؤمنون بوجود هذه العلاقة بين المفهومين بل

⁹. المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

¹⁰. الحبيب بوعبد الله، مفهوم الهرمينوطيقا الأصول الغربية والثقافة العربية، مرجع سابق، ص 111.

¹¹. المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

¹² - أمبرتو إيكو، التأويل بين السيميائية والتفكيكية، ترجمة وتقديم: سعيد بنكراد، المركز الثقافي العربي، ط2، 2004، ص28-29.

يشككون في صحتها¹³، وإن كانت قيمة كبيرة لدراسة الإيتيمولوجية والبحث والحفر عن جذوره وعن نشأة المصطلح وتحديد دلالاته الأصلية واليقينية وتتبع مراحل التطور اللغوي. وفي الحقيقة يبقى مرحلة مهمة وأولى ولكنها غير متممة وكافية في الكشف عن أشكال ومظاهر التطور الدلالي والإشتقاق لمصطلح "الهرمينوطيقا" ورصد التغيير والتبدل ولحظات التحول الكبرى فلسفياً وإبستمولوجياً وفينومينولوجياً التي إستهدفت مفهوم "الهرمينوطيقا" عبر العصور¹⁴. وهذا التطور والتبدل في مفهوم "الهرمينوطيقا" غير منتهى ومكتمل بل في سيرة دائمة وغير مستقرة، فالمعنى الدلالي للهرمينوطيقا في الفلسفة اليونانية القديمة يختلف عن المعنى الحالي لها بالرغم من وجود العديد من النقاط المشتركة بينهما.

2-1 في تاريخية المفهوم وتطوره.

لابد من الإشارة إلى أن الإطار الإبستمي والمعرفي لمفهوم "الهرمينوطيقا" يرجع إلى إطار فلسفي حتى وإن غلب عليه الإطار الإيتيمولوجي لظهور المصطلح والذي كان السباق في إحتضانه وبلورته باعتبار أن الفضاء الديني واللاهوتي هو الذي إحتضن المفهوم وحدد دلالاته، ونَبَش في بعض قضايا المعنى والتأويل من خلال تفسير النصوص المقدسة بأنواعها اليهودية والمسيحية¹⁵. ومن هنا نجد أن هذا المفهوم قد إمتلك سمة العمق النظري وبعده الفلسفي عبر عدة مراحل ومحطات التي هيكلت وشكلت تاريخ تطوره وتبدله، وإن كانت الفلسفة في أهم تعريفاتها هي: "فن تشكيل المفاهيم وإختراعها وصناعتها"، فإن كل مصطلح ومفهوم له بدايته وجذوره وتاريخه أيضاً، فالتنقيب والحفر في تاريخية المفهوم تطوراً وتبدلاً وتغيراً هو الذي يساهم لنا في معرفة الإطار الإبستمي والمرجعي¹⁶، على إختلافه وتباينه وتنوعه وغزارة وتنوع أشكاله لتطور مفهوم "الهرمينوطيقا" ونموه.

3-1 أرسطو ومسألة التأويل.

تعتبر المقالة الثانية من كتاب "أرسطو"، "الأرغانون" والموسومة بـ "أي في التأويل"، "Per Hermenias De L'interpretation"؛ ويعتبر من أهم المصادر لأرسطو في معرفة وتحديد المعنى الأول للتأويل، وإن لم يصرح أرسطو في كتابه بمعنى "هرمينيا"، "Hermenias" فإنه قد أشار أو لمح بذلك في ثنايا كلامه وفي العديد من المحطات، وهو ما عقّد الأمر وشكل صعوبة حقيقة في تناول وتتبع المفهوم ودلالته لدي أرسطو. ولو لم تكن مجهودات ومحاولات الفيلسوف الفرنسي "بول ريكور" هي التي سهلت الأمر¹⁷، ولما استبان

¹³ - الحبيب بوعبد الله، مفهوم الهرمينوطيقا الأصول الغربية والثقافة العربية، مرجع سابق، ص 111-112.

¹⁴ - الحبيب بوعبد الله، مفهوم الهرمينوطيقا الأصول الغربية والثقافة العربية، مرجع سابق، ص 112.

¹⁵ - المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

¹⁶ - المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

¹⁷ - الحبيب بوعبد الله، مفهوم الهرمينوطيقا الأصول الغربية والثقافة العربية، مرجع سابق، ص 112.

واتضح الأمر على الصورة المرجوة من الدقة والوضوح.

فقد أوضح "بول ريكور" أنَّ "هرمينيا" ذاتها لم يستخدمها "أرسطو" ولم يكن مُتَنَبِّه لها، وبرغم من أنه إستعملها في العنوان، فقد كانت لا تعني العلم الذي يبحث في دلالات العلامات والرموز وإنما هي الدلالة ذاتها، دلالة الإسم ودلالة الفعل ودلالة الجملة ودلالة الخطاب. فالتأويل هو الذي يتجسد في الصوت وله معنى، أي هو الذي يرتبط بالقول والكلام، فعند التلفظ بالأسماء التي هي مسميات لأشياء والتي نستعين بها في الواقع وكذلك الأفعال تعد تأويلاً¹⁸. ويتبين أن "بول ريكور" قد صنف الفعل والكلام والقول من بين المجالات التي يتجسد فيها التأويل.

حسب "بول ريكور" يرى أن المعنى الكامل والتام للهرمينيا وفق التصور الأرسطي للكلام أو الخطاب هو "دلالة الجملة" وهذا إنطلاقاً من المعنى المنطقي للجملة، أي الجملة الخبرية التي تقبل الصدق والكذب، ومن هذا الفهم أو التصور الأرسطي للجملة ومكوناتها يتضح التعريف البليغ للتأويل عند أرسطو: "هو أن تقول شيئاً عن شيئاً ما وهو المعنى الكامل والقوي لكلمة تأويل"¹⁹، ومنه نستطيع القول أن التأويل عند "أرسطو" هو التصريح بالوجود أو الواقع بمعنى تسمية الأشياء بمسمياتها وعن طريق علامات اللغة ورموزها، وبمعنى آخر التأويل لدى أرسطو محصور برؤية الكلام أو الخطاب "Logos"، و وصل الحد إلى أن إندمج في التأويل البعد الدلالي للكلام ذاته²⁰.

لذا نجد "بول ريكور" ينقد أو يقول أنَّ التأويل الأرسطي ناقص، برغم من أنه لم يطرح لنا مشكل تعدد المعاني والدلالات، فهو ناقص وقاصر بسبب أنه لم يوضح لنا أصول الإشكالية الحديثة للتأويل، ودون إنقاص من قيمة كتاب أرسطو وما جاء فيه من قضايا مهمة وإرتباطها بالواقع؛ فإنَّ مصطلح التأويل لدى "أرسطو" لا يمد بأي صلة أو علاقة بالمصطلح "الهرمينوطيقا" في دلالاته الفلسفية الحديثة والمعاصرة²¹. ومنه ينفي "بول ريكور" وجود أي علاقة لأرسطو بمصطلح "الهرمينوطيقا" في معانيه الفلسفية.

وقد أشار "مصطفى العارف" في مقاله "الهرمينوطيقا والفهم لمفهوم كلمة هرمينوطيقا"؛ فكانت مصدر إختلاف بين الكثير من المترجمين والمفكرين والباحثين، فالبعض قام بترجمتها إلى التأويل والشرح، والبعض الآخر أبقى على الكلمة كما هي مُرجعين الإختلاف والتباين إلى إشكالية الترجمة، ومنهم من بادرا إلى إبداع مفهوم خاص مُستندين إلى الإشتقاق اللغوي للمفهوم²²، وهذا ما نجده عند المفكر الجزائري "محمد شوقي

¹⁸ - المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

¹⁹ - المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

²⁰ - الحبيب بوعبد الله، مفهوم الهرمينوطيقا الأصول الغربية والثقافة العربية، مرجع سابق، ص 112.

²¹ - المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

²² - مصطفى العارف، الهرمينوطيقا والفهم، شلايرماخر، دلتاي، غادامير، مجلة مدارات فلسفية، العدد 14، صيف 2006، ص 147.

الزین"، عندما إشتق من كلمة "Hermeneutique"، "هرمينوطيقا" التي تعني الفن "tecchne" بمعنى الإستعمال التقني للآليات والوسائل اللغوية والمنطقية والتصورية والرمزية والإستعارية، وباعتبار أن الفن مرتبط كآلية بغائية، فالغاية هي تجنيد هذه الوسائل والتقنيات²³، لغاية التنقيب والكشف عن حقيقة مختلفة ومُتَحَجِّبة.

ومنه نجد الباحث الجزائري "محمد شوقي الزين"، قد ساوى بين كلمة "الهرمينوطيقا" وبين فن التأويل بمعنى آخر؛ الهرمينوطيقا تعني فن التأويل من منظور محمد شوقي الزين.

ونجد في تعريف آخر أنّ "الهرمينوطيقا" قد إقترنت في الأصل بفن التأويل النصوص المقدسة أو المدنسة، لذا نجد تداخل بين دلالتها مع التفسير "exégèse" أو "الفيلولوجيا"، وقد فُهِمَتْ على أنها تفكير منهجي يتصف به ذلك الإجراء التأويلي الذي نجده داخل هذه الفروع من العلوم²⁴. وفي نفس السياق نجد "محمد شوقي الزين" في كتابه: "تأويلات وتفكيكات فصول في الفكر الغربي المعاصر"، قد لمح فيه إلى أنه يفضل ويبتغي صيغة "فن الفهم"، "tekhne"، لترجمة كلمة "Hermeneutique"، تميزاً لها عن "التأويل"، "Interpretation" وأنَّ البعض قد يعربها بـ: "علم التأويل" خلافاً للبعض الآخر الذي يترجمها أو يعربها إلى مصطلح التأويلية أو الهرمينوطيقا، لأنها هي الأنسب والأقرب لأصل الكلمة في حد ذاتها²⁵. مثلما نحفظ بالمصطلح الميتافيزيقا والفينومينولوجيا وغيرها من المصطلحات الغربية داخل الفضاء العربي.

تعتبر كلمة "الهرمينوطيقا"، "hermeneutique" من مجموع الكلمات التي يتعذر ترجمتها، بسبب تباينها واختلافها عن كلمة "interpretation"، التي تدل على التأويل، وتحمل كلمة "Hermeneutike"، الإغريقية التي تُشتَقُّ من الجذر "Tekhne" الذي يشير إلى الفن بمعنى الإستخدام التقني لمختلف وسائل وتقنيات لغوية ومنطقية وتصورية وحتى الإستعارية²⁶. لأن التأويل هو في ذاته منهج يركز على الترجمة والتفسير والفهم، ومنه تُعرف الهرمينوطيقا أنها فن التأويل وتفسير وشرح وترجمة النصوص لهدف تحليلها وإستبيان وإظهار القيم والحقائق المهمة والمخفية والمتحجبة والمبادئ والمعايير والأهداف التي تطمح إليها.

وقد ورد في كتاب "إشكاليات القراءة وآليات التأويل" للمؤلف "نصر حامد أبو زيد" أن مصطلح "الهرمينوطيقا" مصطلح قديم بدأ إستخدامه في دوائر الدراسات اللاهوتية ليشير إلى مجموعة القواعد والمعايير التي يجب أن يتبعها المفسر لفهم النص الديني، (الكتاب المقدس). والهرمينوطيقا بهذا المعنى

²³ - المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

²⁴ - الحبيب بوعبد الله، مفهوم الهرمينوطيقا الأصول الغربية والثقافة العربية، مرجع سابق، ص 110.

²⁵ - محمد شوقي الزين، تأويلات وتفكيكات، فصول في الفكر الغربي المعاصر، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2002، ص29.

²⁶ - زهير الخويلدي، الهرمينوطيقا والغراماتولوجيا أوديسا المعنى في الفكر الغربي، هل هو لعب تفسيري أم حرية تأويلية؟، مجلة الفكر العربي المعاصر، العدد 132-133، شتاء-ربيع 2005، ص77.

تختلف عن التفسير الذي يشير إليه المصطلح « Exegesis » على اعتبار أن هذا الأخير يشير إلى التفسير نفسه في تفاصيله التطبيقية بينما يشير المصطلح الأول إلى " نظرية التفسير " ويعود قدم المصطلح للدلالة على هذا المعنى إلى عام 1654م ومزال مستمراً حتى اليوم خاصة في الأوساط البروتستانتية²⁷. وهنا نجد أن المفكر "نصر حامد أبو زيد" يصرح بقديم مصطلح الهرمينوطيقا والذي كان موجوداً في الدوائر اللاهوتية، ويفرق بين الهرمينوطيقا في معناه اللاهوتي وبين التفسير الذي يعني التفسير في جانبه التطبيقي الإجرائي بينما تشير الهرمينوطيقا في معناه الأول إلى نظرية التفسير.

وقد أخذ مفهوم الهرمينوطيقا في تطبيقاته الحديثة، وقفز من مجال علم اللاهوت إلى دوائر أكثر اتساعاً وشمولاً من بينها العلوم الإنسانية كالتاريخ وعلم الاجتماع والأنثروبولوجيا وفلسفة الجمال والنقد الأدبي والفولكلور. وهذا الإتساع في مفهوم المصطلح وتطبيقاته عقد الأمر وأصبح من الصعب الإمام بكل التفاصيل²⁸، بحيث في العصر الحديث نجد أن مفهوم الهرمينوطيقا أخذ بعداً شمولياً وصار يفرض نفسه في عدة دوائر وتخصصات مختلفة.

كما يقع بين أيدينا تعريف آخر مطابق لتعريف الباحث الجزائري "محمد شوقي الزين"، وهو تعريف "عبد الكريم شرفي" في كتابه: "من فلسفات التأويل إلى نظريات القراءة"، بحيث يشير إلى كلمة "hermeneutique"، "الهرمينوطيقا" على أنها علم أو فن التأويل، وإذا أردنا أن نتعمق أكثر في المصطلح "hermeneutique"، قلنا مع "شلايرماخر" أنها تعني: "فن امتلاك كل الشروط الضرورية للفهم" ويرجع تاريخ استعمال هذا المصطلح إلى عام 1654م، وبخصوص الممارسة التأويلية في حد ذاتها هي أقدم من ذلك بكثير²⁹. ونرى المفكر "محمد شوقي"، لا يخرج المصطلح عن إطاره؛ أي يحصره دائما في لفظة فن الفهم.

ونجد أن المؤرخين قد تباينوا من ناحية أصلها فالبعض يرجعها وينسبها إلى الأثينيين في العصر الكلاسيكي التي تبحث في الملاحم الهومييرية التي هي بدورها تحتاج إلى فهم وتفسير وتأويل، في حين يؤكد "غوسدورف جورج" أن أصولها تعود إلى عشرات القرون الماضية، وأنها نشأت في الإسكندرية وتم في عصر النهضة والإصلاح العودة إليها وإحيائها من جديد. ثم تمتد وتنمو في عصر الأنوار وعصر الرومانسية³⁰. ولهذا نجد تضارب وقد تباينت مواقفهم (الباحثين والمفكرين) في تعين وتحديد أصلها بدقة وهذا ما يتضح في أغلب الكتب والموسوعات والمعاجم.

²⁷ - نصر حامد أبو زيد، إشكاليات القراءة وآليات التأويل، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط4، 1996، ص 13.

²⁸ - المرجع نفسه، ص 13-14.

²⁹ - عبد الكريم شرفي، من فلسفات التأويل إلى نظريات القراءة، دراسة تحليلية نقدية في النظريات الغربية الحديثة، الدار العربية للعلوم، منشورات الاختلاف، الجزائر العاصمة، الجزائر، ط1، 2007، ص17.

³⁰ - المرجع نفسه، ص 17-18.

في نظر "غوسدورف جورج" أن أصول الهرمينوطيقا تعود إلى أصول دينية محضة، وقد أدت بها الحاجة الماسة إلى فك الغموض واللبس ومحاولة كشف ما جاء في الكتاب المقدس الإنجيلي الذي لم يعد فهمه أمراً هيناً، لهذا نجد غوسدورف يفسر التوسع الهائل للهرمينوطيقا بإزدهار البروتستانتية في عصر النهضة³¹. وهذا الموقف من المواقف الذي يفسر أصل الهرمينوطيقا بإرجاعها إلى أصول دينية تيولوجية.

وفي الحقيقة أن مفهوم الهرمينوطيقا يتداخل مع مجموعة من المفاهيم الفرعية التي تحيل إلى مختلف الممارسات التأويلية على النصوص مثل: الفهم والتفسير والشرح والتأويل والترجمة والتطبيق... إلخ، وهذه الممارسات الهرمينوطيقا تختلف وتباين، وبعض المرات تكون متطابقة ومتباينة ومرات أخرى نجدها متداخلة ومتكاملة³².

نلاحظ أن "شلايرماخر" قد أزاح التأويل وجاء بالفهم واعتبره هو مركز الممارسة الهرمينوطيقية، لأن التأويل يبحث دوماً عن المعنى الحرفي أو المجازي، على عكس الفهم الذي يقوم على فهم الآخر في غيبيته، بمعنى في تفرد. أما في ما يخص "فيلهايم دلتاي"، فقد احتفظ بالتأويل وأقرى بأنه شكل من أشكال "الفهم" وهو ينتهي إليه باعتباره جزء منه.

وإنتماء وإهتمام فن التأويل بإشكالية قراءة الكتابات المقدسة اللاهوتية والنصوص، مما أدى بـ "ماتياس بافلاسيوس" إلى معارضة ونقد السلطة القائمة في الكنيسة، وخاصة في قضية "مصادرة حرية قراءة النص المقدس"، مع إختياره وإقراره بأولوية وأهمية التراث في التأويل أجزاء النص التي تتصف بالغموض واللبس وإعتماد طابع الإستقلالية في فهم مكوناته بعيداً عن أي إكراهات أو تحيزات أو توجيه قصري، والسعي على مواجهة سلطة القراءة الأحادية للنص³³. هذا الذي عبد الطريق "لفيلهايم دلتاي": بتأسيس توجه جديد في فن التأويل الذي ينادي بفكرة أنه علينا أن نفهم النصوص إنطلاقاً من النصوص ذاتها، وليس لأي اعتبارات أخرى إيديولوجية أو مذهبية التي تنتهي إليها هذه النصوص³⁴. فتوجه "فيلهايم دلتاي"، كان قد أزاح كل التحيزات والمذاهب والقراءات الأحادية التي يتصف بها النص، وأعلن أن ننطلق من فهم النص بدءاً من النص ذاته.

كما نلاحظ أن "فيلهايم دلتاي" قد ميز وفرق بين الفهم والتفسير³⁵، ففي نظره هذا الأخير يعد منهجاً علمياً تمتاز به الاتجاهات العلمية والعلوم الوضعية، أمّا التأويل أو الفهم فهو منهج علمي يتوافق مع العلوم

³¹ - المرجع نفسه، ص 17- 18.

³² - المرجع نفسه، ص 18.

³³ - محمد شوقي الزين، تأويلات وتفكيكات فصول في الفكر الغربي المعاصر، مرجع سابق، ص 30.

³⁴ - المرجع نفسه، ص 31.

³⁵ - عبد الكريم شرفي، من فلسفات التأويل إلى نظريات القراءة، مرجع سابق، ص 18.

الإنسانية، وعلوم الفكر، فالتفسير يتلائم والعلم الطبيعي المادي بحيث يفسر مادتها وفق قوانين معينة، أما الفهم يتوافق مع مادة علوم الفكر أو الظواهر الإنسانية³⁶. فهي في أمس الحاجة للفهم أو التأويل ويستحيل أن يطبق منهج العلوم الطبيعية على الظواهر الإنسانية والعكس صحيح.

نجد أن رأي "بول ريكور" يخالف رأي "ديلتاي"؛ من حيث أن بول ريكور قد قلّل من حدة التناقض بين مقولتي التفسير والتأويل، وكشف عن التكامل المتبادل بينهما، وبين ريكور في هذا السياق أن مفهوم التفسير قد خضع لتحويل أساسي وجذري تمّ من خلاله تغيير مكانه الأصلي إلى مكان آخر جديد. وتغيّر أصلُ اشتقاقه من مجال العلوم الطبيعية بل أصبح ينتهي إلى النماذج اللسانية الخالصة³⁷. وهذا أحدثت مقولة التفسير قفزة نوعية عند الفيلسوف ريكور الذي نقل مقولة التفسير من البيئة العلوم الطبيعية إلى العلوم اللسانية. وبخصوص "هيدغر" فكان تصوّره للفهم باعتباره عنصر أساسي وجزء من كينونة الكائن وباعتباره ممارسةً أساسيةً لوجوده ومقارنته للعالم ولذاته، والتأويل بمفهوم "هيدغر" فيجب عليه الإمساك بالفهم ومحاولة إخراجهُ إلى مستوى دائرة الوعي والإدراك، كما يذهب "دريدا" إلى مقارنة المعضلة من زاوية مشابهة³⁸، فالفهم بالنسبة له هو "إعادة بناء الدلالة القصدية للنص"، وبرغم من أن النص لا يشير إلى أي مدلول، بل هو يشير على ذاته دائماً، ومنه تصبح نتيجة الفهم دوماً "مضاعفة"، النص بنص آخر، لا بد إذن من العمل على تفكيك البنية الدالة للنص في حد ذاتها، بمعنى تفكيك الخطاب ونظير شروحاته وتناقضاته واختلافاته، وهذا هو عمل التأويل³⁹. فالفهم بالمنظور الهيدوغاري هو ممارسة أساسية لوجوده ومقارنته للعالم ولذاته أما المنظور الدريدي فيذهب إلى أن الفهم هو إعادة بناء الدلالة القصدية للنص.

- مفهوم التأويل (الهيرمينوطيقا) .

يمكننا أن نعتبر أن إشكالية التأويل ولدت عملياً مع إشكالية الترجمة، إذ أنّ مسألة الاعتماد على الفيلولوجيا في ترجمة النصوص، تطرح مشكلة الاختلال في المعنى المتعادل مع معنى النص الأصلي، وعليه تكون مسألة التعادل في المعنى، منشأ التأويل، فقد لاحظ "غريش" - مبدئي - "بما أنه لن تكون هناك نظرية عامة للترجمة، فإنه لا يمكن الحصول على نظرية عامة لتأويل النصوص الفلسفية"، ومنه فإن التأويل ليس منهجاً نظرياً وليس قانوناً علمياً للحصول على نتائج منطقية⁴⁰. ونلاحظ أن "غريش" ينفي على التأويل أن يصبح منهجاً أو قانوناً علمياً تتمكن من خلاله الوصول إلى نتيجة معينة.

³⁶ - المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

³⁷ - عبد الكريم شرفي، من فلسفات التأويل إلى نظريات القراءة، مرجع سابق، ص 18.

³⁸ - المرجع نفسه، ص 19.

³⁹ - المرجع نفسه، ص 19 - 20.

⁴⁰ - عمارة ناصر، اللغة والتأويل مقاربات في الهيرمينوطيقا الغربية والتأويل العربي الإسلامي، دار القدس العربي، 2013، ص 33.

وفي مجالات تداول المصطلح يوضح "ريكور" أن: كلمة "Hermeneutik" تُعطى في الألمانية كافتراض لتحديد مادة تعليمية تمنح الوضع العلمي الدقيق لمفهوم التأويل كاستعمال هيرمينوطيقي محض ومفهومة واسعة للدلالة (Bedeutung). أمّا في الفرنسية يتعلق الأمر بالزوج (فهم / أول) ويحيل دون صعوبة إلى الزوج (Anslegen/vertehere)، أما مصطلح (deutung)، فهناك صعوبة في ترجمته لإرتباطه بكتب تفسير الأحلام الفرويدي "Traumdeutung"، وبهذا فإن الهيرمينوطيقا مادة ألمانية، وبهذا تتميز كلمة الهيرمينوطيقا عن كلمة التأويل يكون الأولى ذات كثافة فلسفية⁴¹. وهي اللفظ الدقيق والأصح والأبلغ في التعبير عن الفكر الألماني الفلسفي.

أما مصطلح «Herméneutique» ومنذ إعادة اكتشافه في القرن الخامس عشر، إرتبط عملياً بمصطلح "الأنطولوجيا"، فإن هذا المصطلح ينخرط ضمن الخط التأملي الوجودي في الفلسفة، من جهة، وباللغة كموضوع للتأمل وملاحقة الكينونة في التعددية للنص من جهة أخرى. وإرتباط الهيرمينوطيقا بالأنطولوجيا يجعل من الذات العميقة حاملاً رئيسياً للدلالة المطورة بواسطة الفهم، ونعتبر أنه منذ "هيدغر" يصرح أن الطريق الأقصر إلى الحقيقة هو أنطولوجيا الفهم، وتصبح الهيرمينوطيقا مجالاً للتحليل هذا الوجود، الدواين، أي أن الهيرمينوطيقا لا تبحث فقط عن وجود المعنى من خلال النص وإنما معنى هذا الوجود كذلك⁴²؛ وأنطولوجيا الفهم هي الحل البديل الإبستي للوصول إلى الحقيقة، والهيرمينوطيقا هي الأرضية التي تمهد الطريق للتحليل، وتعطي الوجود والدواين معنى لهما.

فالتأويل بهذا المعنى يستغرق في كينونة الموضوع المؤول على غرار "الظواهرية"، فاتحاً بذلك عالم الذات على عالم النص دونما وساطة منهجية أي أنه لا توجد نظرية في التأويل مستقلة عن تطبيقه، فهو ليس منهجاً بحيث نستطيع تعلمه وتطبيقه على حقل من الموضوعات، بل هو تطبيق لتجربة عملية معتمدة على التأمل الداخلي المَحَايِث للحياة⁴³. فهو لحظة آنية تتسم به الحياة وتتقاسمه مع الذوات.

هذه التجربة مسبقة بمعطيات الفهم القبلية أي دون التوسط أدوات منطقية أو إحدى نتائج ممارسة هذه التجربة نفسها، فالذات التي تخوض هذه التجربة لا تدعي إمتلاك النص بصفته موضوعه، بل تقوم في الإندماج فيه مباشرة، جاعلة من الفهم والنص كينونة واحدة، لكي تتمكن من الإصغاء عن قرب لما يقوله النص، وعلى هذا تتميز الهيرمينوطيقا عن التأويل، فعمل الهيرمينوطيقا ليس محدوداً بعمل التأويل بمعناه البحث عن المعاني الباطنية للنصوص، بل إن مهمته هي فك رموز النص لتحرير الكلام الحي والذي هو معتم ومغمور ومجمد داخل الكتابة، ففي العمل الهيرمينوطيقي تصطبغ الذات بصيغة الكتابة لتتمكن من رصد

⁴¹ - المرجع نفسه، ص 33-34.

⁴² - المرجع نفسه، ص 34.

⁴³ - عمارة ناصر، اللغة والتأويل مقاربات في الهيرمينوطيقا الغربية والتأويل العربي الإسلامي، مرجع سابق، ص 34 - 35.

الرموز داخله وفكها⁴⁴. فالتأويل إذن غاية البحث عن المعنى الباطني المخفي أم الهرمينوطيقا فهدفها فك الرموز الموجود داخل النصوص المكتوبة لكي يتحرر الكلام الحي الذي كان قد أخفيا ضمن الكتابة.

4-1 جذور التأويلية الغربية

يكشف التراث الفلسفي الغربي عن مصادره التاريخية ليتمكن من تجديد نشاطه المعرفي من خلال المشاريع التي تتقاطع في هذه المصادر "اليونانية"، ويمكن أن نميز في الغرب أصلين للهرمينوطيقا: فصل: **per Hermenias** « في "أرغانون" أرسطو والتفسير الإنجيلي وإذا كانت كلمة "Hermenias" في "peri Hermenias" بالمعنى الكامل هي دلالة الجملة، فهي بالمعنى الأقوى عند المنطقي، الجملة القابلة للصدق أو الكذب، فالهرميني الأرسطي هو فهم لمنطق العبارة إذ إن قول شيء ما عن شيء ما أي التأويل، لا يهتم أرسطو إلا لكونه مكان للصدق والكذب⁴⁵.

ونجد جذراً آخر للكلمة من خلال ملاحظة "أرفون"، "H.Arvon" أن الهرمينوطيقا مأخوذة من كلمة هرمس Hermes الذي هو في الميثولوجيا اليونانية، الوسيط بين الآلهة والبشر، فالهرمينوطيقا هي علم التأويل، وهذا الجذر يمكن أن يساهم في فهم العمل التأويلي حينما يتعلق بفهم النص الديني وتوسط الرموز الدينية، كما أن كلمة: "Hermeneutik" تُعطى في اللغة الألمانية لتحديد مادة علمية دقيقة لمفهوم التأويل "Auslegung"⁴⁶، والتوظيف العلمي للكلمة ظل مشتركاً في الثقافات الغربية بتقاسم مادة التيلولوجيا وآلية التفسير، وينبثق الجذر الثاني عن تراث تفسير الإنجيل كتابة "Ecriture" مقدسة قابلة للنقد الفيلولوجي والتفكيك الفلسفي وبالتالي قابلة إختراق التقديس فيها من خلال إعادة الكتابة الإنسانية بالترجمة أو التفسير، إذ كل قراءة هي تأويل إنساني يختلف عن النص المكتوب ويرتبط بالفعل التاريخي الراهن لعملية الفهم⁴⁷. وتحدث العصور الوسطى عن تأويل طبيعي "InterpretationNatural" باللجوء إلى إستعارة كتاب الطبيعة، هذه الإستعارة تظهر توسعا ممكنا لمفهوم التفسير، حيث يفيض مفهوم "النص" عن مفهوم الكتابة، ومنه فإن التأويل لم يتضمن أي نشاط إنساني يحزر فعل الذات والإرادة⁴⁸.

الهرمسية وشروط التأويل

ورد في كتاب "سيرورات التأويل من الهرموسية إلى السيميائيات" لمؤلفه: "سعيد بن كراد" أن الهرموسية تعني (herméneutique) في منابعها الإغريقية الأولى إلى التأويل، أي إلى النشاط المعرفي الذي

⁴⁴ - المرجع نفسه، ص 35.

⁴⁵ - عمارة ناصر، اللغة والتأويل مقاربات في الهرمينوطيقا الغربية والتأويل العربي الإسلامي، مرجع سابق، ص 78.

⁴⁶ - المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

⁴⁷ - المرجع نفسه، ص 78 - 79.

⁴⁸ - المرجع نفسه، ص 79.

يقود إلى إستعادة معنى نص أو وثيقة غابت جوهرهم صروف الدهر. لذلك وجب النظر إليها على أنه مجموعة من القواعد التي يعتمد عليها المؤول من أجل تبين طريقه وسط ركام هائل من نصوص تُخفي عادة أهدافاً حقيقية في سلسلة من العناصر التي هي مادتها المرئية، فالعناصر ليست سوى طريق عرضي نحو معاني أخرى تُستدعي، لكي تكشف عن نفسها سبُر أغوار طبقات نصية عميقة⁴⁹. أما عند "سعيد بنكراد" فقد أخذ التأويل منحه آخر وهو إستعادة معنى نص أو وثيقة غُيب معناها وأصلها عبر الزمن لذا كان من واجب النظر إليها على أنها مجموعة من القواعد التي يلجأ إليها المؤول لهدف إيضاح مساره وسط الكم الهائل من النصوص التي تغيب الأهداف والغايات الحقيقية.

وأصل التسمية إغريقي، كما يوجي بذلك الجذر "hermeneias". وهذا اللفظ دال على التأويل، أي على وجود مُمكنات معنوية ضمن النص خارج معانيه الحرفية وهو ما يعني أن المعنى متعدد وليس واحد، وفي هذا السياق يحال عادة على المصنف الشهير الذي ألفه "أرسطو" المعنون بـ "peri hermeneias"، "في التأويل" وهو كتاب يبحث أساساً في قضايا الدلالة وإرتباطها بالعمليات التي يتحول من خلالها العالم الخارجي إلى رموز تحل محله وتغني عن حضوره⁵⁰، يبقى أرسطو أول من وظف مصطلح هيرمينوطيقا في باب "منطق القضايا" من كتابه الأورغانون⁵¹. وقد تكون الهرموسية في مرحلة ثانية مشتقة من الإله اليوناني الشهير "هرمس"، "hermes"، الملقب بـ "مثلث العظمة"، وهو إله غريب الأطوار، فقد كان متقلباً وغامضاً، كان أباً لكل الفنون وربما لكل النصوص، وشيخاً وشاباً في الوقت ذاته، وصلة وصل بين الآلهة الخالدة والإنسان الفاني. وبذلك نظر إليه باعتباره رمزاً لإتحاد المتناقضات وتعايشها، تماماً كما يمكن أن تتعايش كل الدلالات في النص الواحد⁵².

كما نجد تعريف "أحمد أبوزيد" في مقال له يقول فيه:

وقد ارتبطت الهرمينوطيقا في البداية بتفسير أعمال هوميروس، والشعراء الإغريق، وبذلك ارتبط التفسير بالفيلولوجيا، (علم اللغة) وبنقد النص، فالحركة بدأت إذن على أيدي علماء الكلاسيكيات واللاهوت الذين حاولوا وضع قواعد التفسير الصحيح للنصوص الدينية ولكنها لم تلبث أن اتسعت لتشمل النصوص الأدبية وغيرها، بل وتجاوزت هذا إلى علم النفس والإجتماع والأنثروبولوجيا والتاريخ، وبقيّة العلوم الإنسانية على أساس أن الحياة الإنسانية عملية تضيي معنى على الأشياء، ولذا تحتاج إلى أن تقرأ بقصد الفهم

⁴⁹ - سعيد بنكراد، سيرورات التأويل من الهرموسية إلى السميائيات، الدار العربية للعلوم ناشرون، دار الأمان، منشورات الإختلاف، ط1، 2012، ص 29.

⁵⁰ - المرجع نفسه، ص 29.

⁵¹ - العياشي ادراوي، الوعي الهرمينوطيقي، تحولات الواقع ودينامية النص: جان بيبان، هايدغر، شلايرماخر، غادامير، دلتاي، مجلة كتابات معاصرة، العدد 87، المجلد 22، شباط - آذار 2013، ص 88.

⁵² - سعيد بنكراد، سيرورات التأويل من الهرموسية إلى السميائيات، مرجع سابق، ص 30.

والتأويل والتفسير⁵³.

تطلق كلمة "هيرمينوطيقا" في العادة على الإتجاهات المختلفة التي يعتنقها بعض الفلاسفة والمفكرين الذين يعطون اهتماماً خاصاً لمشكلات "الفهم" و"التأويل" أو التفسير، فالكلمة تصدق إذاً على نظرية التفسير ومناهجه، واللفظ اليوناني المستمد منه، الكلمة تشير إلى عملية الكلام هو طريقة " يفسر " بها الشخص أفكاره للآخرين⁵⁴. ومنه قد جمع المؤلف بين عدة أفاظ وعمليات عقلية في تعريفه للهيرمينوطيقا بحيث أنها هي التي تهتم بالمشكلات الفهم والتأويل أو التفسير، وهذا ما يتباين مع عدة مواقف للمفكرين والباحثين.

وورد في كتاب "الفهم والنص دراسة في المنهج التأويلي" عند "شلايرماخر" و"ديلتاي" لدكتور "بومدين بوزيد"، أن الهيرمينوطيقا في أصلها اللاتيني "hermenia" من هرمس Hermes، الإله الوسيط بين الآلهة والناس، يفسر لهم ويشرح المرمز ويفك الطالاسم، ومع آباء الكنيسة كان يعني تفسير كلمة الله، المعنى باق هو الوساطة وفهم معنى الرمز، وكان في الإسلام التأويل مرتبطاً بخشية الله، فالعلماء المفسرون للقرآن الكريم آتاهم الله الحكمة لتأويله، ولكن له شق آخر قد يكون القصد من التأويل تحريف المعنى الأصلي⁵⁵، ويبقى المعنى القديم للهيرمينوطيقا ذو طابع تقديسي مرتبط بشرح أوامر الإله، اعتماداً على علامات نصية أو كونية طبيعية، مع "الإسكندر الأكبر" كان التأويل هو "فن قراءة النص"، هي بداية الفيلولوجيا بالمعنى الحديث، وكان ذلك يتم في طقوس قرائية تلاوية بمكتبة الإسكندرية التاريخية⁵⁶. والطاغي على تعريف الدكتور "بومدين بوزيد" هو أنه أعطى للمصطلح الهيرمينوطيقا طابع ديني بإمتهاز وهذا ما يتضح من خلال تفسيراته في كتابه "الفهم والنص دراسة في المنهج التأويلي عند شلايرماخر ودلتاي"، ونجده أيضاً يستشهد بآيات قرآنية. في قوله تعالى: "فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ..." آل عمران، الآية 7.

وورد في كتاب: "مقدمة في الهيرمينوطيقا لدافيد جاسبر"، أن كلمة الهيرمينوطيقا ليست من الكلمات اليومية المتداولة في اللغة الإنكليزية، ولكنها مصطلح تقني يفيد في التعبير عن فهمنا لطبيعة النصوص وكيفية تفسيرنا واستعمالنا لها، خاصة في ما يتعلق بالإنجيل. ورغم ذلك؛ فإن الهيرمينوطيقا هي حول الطرق الأساسية التي ندرك بها العالم، وبها نُفكر ونفهم، ذلك أن لها جذور فلسفية نسميها الإستمولوجيا تتعلق بكيفية مطلق المعرفة، وكيفية التفكير في شَرَعْنَهُ ادعاءاتنا بمعرفة الحقيقة⁵⁷.

⁵³ - أحمد أبو زيد، بول ريكرو وفن القراءة، أوراق فلسفية كتاب غير دوري، العدد الثامن، ديسمبر 2003، ص 48.

⁵⁴ - المرجع نفسه، ص 48.

⁵⁵ - بومدين بوزيد، الفهم والنص دراسة في المنهج التأويلي عند شلايرماخر ودلتاي، الدار العربية للعلوم ناشرون، 2008، ص 13.

⁵⁶ - بومدين بوزيد، الفهم والنص دراسة في المنهج التأويلي عند شلايرماخر ودلتاي، مرجع سابق، ص 13.

⁵⁷ - دافيد جاسبر، مقدمة في الهيرمينوطيقا، تر، وجيه قانصو، الدار العربية للعلوم. ناشرون، منشورات الإختلاف ط 01، 2007، ص 17.

نجد تعريف "لهانس جورج غادامير" يُعرف فيه الهرمينوطيقا في مقال "فن التأويل أشباح العقيدة التيولوجية" أعرف قديمك (ولكن) بعمق (شليغل، شلايرماخر، دلتاي، بولتمان، ودريدا...)، بحيث أنَّ كلمة "هرمينوطيقا" (فن التأويل)، كما هو الحال مع الكلمات المشتقة عن الإغريقية والتي تَمَفَصَلت مع لغتنا العلمية، تتوزع في المستويات المختلفة للتفكير. تدل الهرمينوطيقا -قبل كل شيء- على ممارسة فكرية دليلها الآلية أو الفن، وهو ما يستحضره تشكيل اللفظ الذي يدل على التقنية "Techne"، يتخذ الفن هنا دلالة الإعلان والتراث والتفسير والتأويل ويشمل طبعاً على فن الفهم كأساس ودعامة له والضروري عندما لا تستوعب دلالة الشيء بصورة صريحة أو دون لبس⁵⁸. نجد في الإستعمال القديم للفظ نوعاً من الإلتباس، فقد اعتبر "هرمس"، "Hermes" رَسُول الآلهة إلى البشر، كما أن الأوصاف التي دل عليها هوميروس تظهر غالباً أنه -هرمس- يبلغ حرفياً وينجز كاملاً ما بتبليغه، خاصة في الإستعمال الفلسفي أن نشاط المؤول، "Hermeneus" هو بالضبط ترجمة -أو نقل وإيضاح- العبارات الغريبة والمهمة إلى لغة مفهومة ومستوعبة من طرف الجميع. ومن الملاحظ أن "أفلاطون" لا يربط هذا اللفظ بأي تعبير عن الأفكار وإنما بمعرفة الأمير والرسول⁵⁹... إلخ، والذي له خاصية الأمر والإذعان. لا توجد أية صيغة لفهم التقارب بين فن التأويل والفن التكني: فن تبليغ الإرادة الإلهية يقف جنباً إلى جنب مع فن إدراك هذه الإرادة أو تكهن المستقبل. ونلاحظ أن أرسطو لا يفكر في مؤلفه "peri her mencias" في المعنى المنطقي للعبارة يعالج الـ "Logos apophantikos". هكذا تطور المعنى المعرفي لـ "hermeneus" و "hermencia" في الهيلينية المتأخرة ليدل على التفسير العلمي أو "المؤول" المترجم أو المترجم⁶⁰؛ لكن الأصل المقدس القديم عمل بإستمرار على تبيان الهرمينوطيقا باعتبارها فناً أو آلية: فهي تدل على الفن بحيث تشكل الحكم والأقوال الماثورة المرجعية الهامة ومحل الإعجاب وإثارة النفوس، الذي يسمح بالكشف عن مسألة مهمة ومُغَزَّة، سواء تعلق الأمر بخطاب أجنبي أو بقناعة الآخر ومعتقداته التي لا يعبر عنها. يتعلق هنا الأمر بما نسميه عادة في اللاتينية «ars» (فن) وبالألمانية "Kunstlehre"، مثل فن الخطابة، وفن الكتابة، وفن الحساب، والذي يدل على المهارة والممارسة أكثر منه على العلم والنظرية⁶¹. وإنما يمكن إثباته نظرياً، أول ما ظهرت كلمة "هرمينوطيقا" كان ذلك في عنوان أحد الكتب عند "دانهاور" سنة 1654م، تميز منذ ذلك الحين التأويل اللاهوتي الفيلولوجي عن التأويل القانوني. تدل الهرمينوطيقا في علم اللاهوت (التيولوجيا) على فن تأويل وترجمة الكتاب المقدس (الأسفار

⁵⁸ - هانز غيورغ غادامير، فن التأويل أشباح العقيدة التيولوجية اعرف قديمك (ولكن) بعمق (شليغل، شلايرماخر، دلتاي، بولتمان، ...ودريدا)، ترجمة: محمد شوقي الزين، مجلة كتابات معاصرة، العدد 37، المجلد 10، آيار-حزيران، 1999، ص 73.

⁵⁹ - هانز غيورغ غادامير، فن التأويل أشباح العقيدة التيولوجية اعرف قديمك (ولكن) بعمق (شليغل، شلايرماخر، دلتاي، بولتمان، ...ودريدا)، مصدر سابق، ص 73.

⁶⁰ - المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

⁶¹ - المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

المقدسة) بدقة، فهو في الواقع مشروع قديم أنشأه وأداره أباء الكنيسة بوعي منهجي دقيق، وعلى وجه الخصوص عند القديس "أغسطين" في مؤلفه "العقيدة المسيحية"، "Doctrina Christiana"، فنشاط العقيدة المسيحية قد أملاه التوتر الذي كان بين التاريخ الخاص للشعب اليهودي، الذي أوله العهد القديم على أساس أنه تاريخ الخلاص.⁶²

يتجلى محور الهرمينوطيقا القديمة في مشكل التأويل الرمزي إذ هو تأويل قديم جداً، فالمعنى الباطني أو "الهيپونويا"، (Hyponoia) هو لفظ قديم كان يدل على المعنى الرمزي إذ استعمل هذا التأويل في زمن السُفسطائية وهو ما يؤكد "ج. تات" وما تثبته مخطوطات البردي الحديثة، والسياق التاريخي الخاص بهذا الموضوع واضح جداً: في الوقت الذي فقد فيه سلم القيم، المصمم والمخصص لمجتمع النبلاء، من تماسكه وقوة إقناعه للإنضمام والإنخراط، أصبح من الضروري تطوير فن جديد في تأويل وترجمة التراث، أصبح الترميز فيما بعد في التأويل الهومييري الذي طورته الهيلينية وخصوصاً مع الرواقية.⁶³

يسعى فن التأويل، حيثما طبق إلى الرجوع إلى المصادر الأصلية والبدايات الأولى قصد الحصول على فهم جديد للمعنى الذي ظل محل تحريف وإفساد سببه الإعوجاجات والتشويهات والاستعمالات السيئة وغير الوجهية، كما هو الحال بالنسبة للإنجيل مع سلطة الكنيسة وللآداب القديمة مع اللاتينية البربرية وللقوانين الرومانية مع الأحكام القضائية الجهورية... إلخ، لا يهدف النشاط الجديد لفن التأويل فقط إلى الفهم الدقيق، وإنما يسعى إلى الكشف عن قاعدة نموذجية سواءً تعلق الأمر بتبليغ رسالة إلهية أو صياغة أحكام شرعية.⁶⁴

إنه هرمس ابن زوس أولمب ومايا، حورية الأمطار... الذي يتميز بصفات المكر والخداع بالإضافة إلى السرقة والوقاحة، أصبح إله المسافرين والتجار. فاختر من الآلهة ليكون رسولهم وخير معبر عن إرادتهم، من هنا جاءت الهرمينوطيقا من الفعل اليوناني هرمس أي أول. فالمدة طويلة تم الخلط بين التفسير والتأويل، فيما بعد عرفت الهرمينوطيقا بأنها العلم الذي يوظف ويطبق تلك المبادئ.

لكن اليوم يتم التمييز بينهما بطريقة مختلفة، فمهمة التفسير هي عرض وإبراز التأويل الموجود فقط في النص، وأن التأويل مهمته تكمن في عرض وإبراز التأويل الحالي لتأويل النص؛ إذن التأويل هو تأويل التأويل.⁶⁵ وأما "محمد محجوب" فيعرف الهرمينوطيقا بأنها تنتسب في العربية (التأويلية) إلى تصديق الرب والإنسان معاً، ولكن اتصال التأويل بقول الآلهة وفعلها ليس في نظر التأويل الحديث المعاصر إلا نزراً يسيراً

⁶² - هانز غيورغ غادامير، فن التأويل أشباح العقيدة التيولوجية اعرف قديمك (ولكن) بعمق (شليغل، شلايرماخر، دلتاي، بولتمان،

...ودريدا)، مصدر سابق، ص 74.

⁶³ - المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

⁶⁴ - المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

⁶⁵ - نورين علوش، الهرمينوطيقا التأويل، التفسير والإستوغرافيا، كمجلة كتابات معاصرة، العدد 97، المجلد 25، تشرين الثاني، كانون الأول، 2015، ص 53.

صار يلتزم بقواعد مستحدثة ومبادئ لم تعد تفترض الحقيقة وإنما المعنى، بل لا نهائية المعنى، لقد باتت التأويلية اليوم جدلاً لا يُقيم المعنى إلا على قدر رفع الافتراضات⁶⁶. أمّا "مصطفى كيحل" في "مقاله إشكالية المنهج التأويلي" والأصل المنشور في مجلة كتابات معاصرة فيرى: أنه ترد مصطلحات التأويل، الهرمينوطيقا، الفهم، التفسير، الشرح، التفكير... في الخطاب الفلسفي العربي متداخلة حيناً، متطابقة حيناً، متناقضة في أحياناً أخرى، ففي ما يخص مصطلح "الهرمينوطيقا"، "hermeneutique" نجد من يعترض على استعماله، فهو من أقبح ما ينطق الناطق في العربية، ونحن لا نقبل بهذه الترجمة الهجينة الثقيلة ما دام العرب عرفوا هذا المفهوم وتعاملوا معه تحت مصطلح التأويل، كما يقول "عبد المالك مرتاض"⁶⁷. وهنا من يرى أن إستعمال صيغة هرمينوطيقا هو أقرب إلى روح الكلمة نفسها، فهناك دوماً كلمات أجنبية في عداد المتعذر ترجمته "Intraduisible"، أما فيما يخص الإشتقاق اللغوي لكلمة هرمينوطيقا فهناك من يذهب إلى أن الأصل الإشتقائي لها يرجع إلى الفعل اليوناني "hermeneueim" الذي يترجم عادة بالفعل يفسر. وتشير الكلمة اليونانية⁶⁸ herminios إلى كاهنة معبد "دلفي" "prest" كما يشير الاسم "هرمنيا" "hermineia" الإله المجنح هرمس. ويشير الاسم هرمس إلى وظيفة محدودة هي ترجمة ما يجاوز الفهم الإنساني إدراكها، مما يعني أنّ الصور المختلفة للكلمة تقترح عملية تحويل الشيء أو الموقف خارج نطاق الفهم إلى مجال الفهم⁶⁹.

أمّا "نصر حامد أبو زيد" فيذهب إلى القول بأن الهرمينوطيقا مصطلح قديم بدأ استخدامه في دوائر الدراسات اللاهوتية، يشير إليه المصطلح "Exegesis" على اعتبار أن هذا الأخير يشير إلى التفسير نفسه في تفاصيله التطبيقية بينما يشير المصطلح الأول لنظرية التفسير⁷⁰.

يتفق الكثير من الباحثين وفلاسفة التأويل أن أول ما ظهرت كلمة هرمينوطيقا في العصر الحديث، كان في عنوان في إحدى الكتب عند "دانهاور" 1654 لتدل على فن التأويل وترجمة الكتاب المقدس، أي ترجمة وإيضاح العبارات الغامضة والمبهمة لكي تصبح مفهومة من طرف الجميع سواء عامة الناس أو طبقة الإكليروس⁷¹.

يجمع المترجمون قاطبة أن "الهرمينوطيقا"، "Hermeneutique" هي علم التأويل أو التأويلية أو نظرية

⁶⁶ - محمد محجوب، شجرة الفينومينولوجيا، حوليات الفينومينولوجيا والتأويلية، مجلة وحدة البحث في الفينومينولوجيا والتأويلية بالمعهد العالي للعلوم الإنسانية، تونس، العدد 1-6، المجلد 1، ديسمبر 2006، ص 6.

⁶⁷ - مصطفى كيحل، إشكالية المنهج التأويلي والأصل، (نصر أبو زيد، علي حرب، محمد شوقي الزين)، مجلة كتابات معاصرة، العدد 64، المجلد 16، حزيران، تموز، 2007، ص 31.

⁶⁸ - مصطفى كيحل، إشكالية المنهج التأويلي والأصل، (نصر أبو زيد، علي حرب، محمد شوقي الزين)، مرجع سابق، ص 31.

⁶⁹ - المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

⁷⁰ - المرجع نفسه، ص 31.

⁷¹ - المرجع نفسه، ص 32.

التأويل، والمنبت الأول للمصطلح يوناني خالص، كان يعرف بـ "Hermeneuein" الذي معناه الترجمة أو نقل دلالة أو تفسير شيء من لغة إلى أخرى في سياق تشفيري معين، بغاية الفهم والإستيضاح والإستبيان، ومن هذه المرجعية أصبح فيما بعد، اصطلاحاً، "Hermeneutique" وبصفة شاملة يشير إلى تفسير الإشارات النصية، باعتبارها عناصر رمزية معبرة عن النص وعن الحضارة التي نشأ أو ظهر فيها⁷²، وشاع بهذا المفهوم في مباحث ودراسات الفلاسفة ورواد النقد، الذين اشتغلوا في حقل القراءة والتلقي الأدبي. ولدى الإرتداد إلى الأصل نلقى الأساطير اليونانية تكشف أن هرمس (أي الإله) هو إله تفسير رسائل الآلهة للبشر، ويجري الإعتقاد أنه نظير هذه العلاقة، ارتبط المنشأ الأول للهيرمينوطيقا كحقل معرفي بتأويل الكتب المقدسة، ومن ثم تخندق في مضمار فقه اللغة. معنى هذا أن المصطلح وإن ظهر باليونان فإنه تلقى الرعاية والحضانة بالكنيسة⁷³، ذلك أن الجدل الذي احتدم بين الكاثوليك والبروتستانت حول تفسير الكتاب المقدس، وما نتج عنه من نقاش مستفيض خلص بكل طرف إلى وضع معايير وطرائق نظرية إجرائية بغية ضبط أوليات الفهم والتأويل، وشكل هذا العمل في حقيقة الأمر اللبّات الأولى التي انطلقت منها الهيرمينوطيقا. وباتساع رقعة البحث عن تأويل ناجع للكتب المقدسة، انبرى أنموذجان للقيام بهذا الأمر هما الهيرمينوطيقا اللاهوتية للآباء الكنيسة، وهيرمينوطيقا عهد الإصلاح، غير أن هذا حسب "غادامير" لم يكن ليفضي إلى نتيجة لأنه لم يعد أسلوباً يرشد ممارسة الناقد أو اللاهوتي⁷⁴، ومن ثم كان لابد من نقل هذا المصطلح من دائرة الإستخدام اللاهوتي ليكون "علماً" أو فناً لعملية الفهم وشروطها في تحليل النصوص، ويعود "لفريدريك شليرماخر" الأولوية في هذا. وعليه فمن نافل القول أن الهيرمينوطيقا لم تتضح معالمها من زوايا الماهية والخصوصية، إلاّ بعد خروجها من فضاء اللاهوت إلى فضاء التأويل، وبضبط في الفترة التي تجاذبها من حيث المفهوم وفلاسفة ومفكرون، أدلى كل منهم بدلوه وساهم كل واحدٍ بقسطه في بلورة مجال اشتغالها⁷⁵. يصطلح المشتغلون بالفلسفة اليوم على استخدام كلمة "هرمينوطيقا" للدلالة على ذلك الحيز من الفلسفة الحديثة الذي يعنى بنظرية الفهم، سواء أكان المُعطى المطلوب فهمه نصاً شفوياً أم مكتوباً أم عملاً فنياً أم ظاهرة مجتمعية أم تاريخية. ويبدو أن هذا التعبير، المقتبس حرفياً من اللغات الأجنبية (Hermeneutik/Hermeneutics)، التي استمدته بدورها من اليونانية، أخذاً في الفرض ذاته على الساحة الفكرية العربية، رغم أن الحس اللغوي العربي قد لا يستسيغه⁷⁶. لم تبرز الهيرمينوطيقا كنظام فلسفي مستقل، يتجاوز في

⁷² - مجاهد بوسكين، النظرية الهيرمينوطيقية، من أحضان اللاهوت إلى فضاء التأويل (شليرماخر، ديلتاي، غادامير)، مجلة كتابات معاصرة، العدد 91، المجلد 23، آذار-نيسان 2014، ص 66.

⁷³ - المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

⁷⁴ - المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

⁷⁵ - المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

⁷⁶ - أسعد قطان، الهيرمينوطيقا الحديثة وفهم النص، مجموعة من المؤلفين، التأويل والهيرمينوطيقا، دراسات في آليات القراءة والتفسير،

أغراضه ومَراميه، نطاق التفسير الضيق للنصوص الدينية إلّا في القرن التاسع عشر، ولقد كانت للمفكرين الألمان اليد الطولى في رفعها إلى مرتبة الحيز الفكري القائم بذاته، بل وفي تطويرها أيضا انطلاقاً من التغيرات العميقة في إشكاليات الطرح الفلسفي التي شهدتها القرن العشرون.⁷⁷

نظرية التأويل تدور أساساً حول إيضاح وتفسير الأشياء لتصبح مفهومة ومعقولة، وهدف نظرية التأويل هو تعميم مشكل الهرمينوطيقا على جملة الممارسات الفردية والإجتماعية والتصورات والأفعال والمقاصد، بمعنى أنها تهدف إلى فهم صحيح للتجربة الإنسانية.⁷⁸

5-1 التأويل الدلالي أو السيموزيسي (Semiosique)

هو نتاج السيرورة التي يقوم من خلالها المرسل إليه في مواجهة التجلي الخطي للنص، بملاً بالمعنى، التأويل النقدي أو "السيميوطقي"^{79*}، "semiotique" على النقيض، يحاول تفسير الأسباب البنيوية التي تمكن النص من إنتاج تأويلاته الدلالية.⁸⁰

6-1 الدلالة المحايثة:

حققت اللسانيات إنجازات نظرية وإبستمولوجية مهمة، سواء على مستوى تقنيات وإجراءات التحليل، وبفضل هذا الإنجاز العلمي، تحولت إلى نموذج تمثلي، تتطلع العلوم الإنسانية الأخرى إلى الإحتذاء به.⁸¹ لقد تعرض مفهوم "المحايثة" للانتقادات من إتجاهات سوسولوجيا النص الأدبي، لأنه يوحي بأن المعاني متعالية وكلية، ويعكس رؤية لا تاريخية الأدب، حيث ينفي أي تأثير للأدب بشروط الإنتاج والتلقي، هذه الإنتقادات، وإن كان لها ما يبررها في إطار صراع النظريات، فإنها لا تمنع التأكيد على فعالية مفهوم المحايثة، حتى ولم تكن هناك "محايثة خالصة" أو مطلقة، وتكمن فعاليتها في أنه يحصن المحلل ضد أي ارتداد في تأويل النص إلى الأحكام المسبقة الجاهزة. إنّ ما يلح عليه النقد المحايث، ليس رفض كل التأويلات الخارجية للنص، بصفة مطلقة، ولكن إعتبارها ثانوية، ما دامت المقومات الأدبية هي أدبية قبل أن تكون نفسية أو إجتماعية أو

منشورات مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، بيروت، ط1، 2011، ص45.

⁷⁷ - المرجع نفسه، ص45.

⁷⁸ - محمد شوقي الزين، مدخل إلى تاريخ التأويل، مجلة التسامح، عدد7، السنة الثانية، صيف 2004-1425، ص140.

* - السيمانطيقا: "La semantique" أحد فروع علم اللغة وبحث في دلالة الألفاظ وتطور هذه الدلالة، ووضع أسس هذا العلم باربال (Breal) في أخريات القرن الماضي، أنظر إبراهيم مذكور، المعجم الفلسفي، مجمع اللغة العربية، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، جمهورية مصر العربية، القاهرة، 1983، ص99.

⁸⁰ - محمد بوعزة، استراتيجية التأويل من النصية إلى التفكيكية، دارالأمان، منشورات الاختلاف، ط1، 2011، ص79.

⁸¹ - محمد بوعزة، استراتيجية التأويل من النصية إلى التفكيكية مرجع سابق، ص13.

تاريخية⁸².

7-1 التأويل المطابق:

يتوخى الكشف عن الدلالة التي أرادها المؤلف، وبذلك يطابق بين مقاصد الكاتب وقصدية النص. كما أن التأويل المفارق يسلم بتعدد دلالات النص، ومعنى ذلك أن مقاصد النص تفارق بالضرورة نوايا المؤلف، ولا تتطابق معها. إنه يعزل النص عن سياق المؤلف وعن أصله، وإستناداً إلى طبيعة هذه التعددية⁸³: ينقسم بدوره إلى نوعين: التأويل المتناهي والتأويل اللامتناهي.

بمعنى التأويل، وردت لفظة "الهرمينوطيقا" بأقلام أخرى لتدل على التأويل إذ ذهب شريحة واسعة من الباحثين إلى مقارنة المصطلح بالتأويل، وإن هذه الدلالة لها مسوغ قاموسي؛ الهرمينوطيقا في أصلها اللاتيني "Hermeneutike" أي فن التأويل، وفي اشتقاقاتها الأصلية جاءت من لفظ "Hermenia" من "هرمس"، "Hermes"، الإله الوسيط بين الآلهة والناس⁸⁴.

بمعنى نظرية التأويل، هناك من يرى في لفظة "الهرمينوطيقا" دلالة على نظرية التأويل فقد تحول مصطلح التأويل في العصر الحديث، إلى نظرية التأويل، وتؤكد الدكتورة "مليكة دحامية" في دراستها حول هرمينوطيقا النص الأدبي هذا المعنى، لقد إعتبرت الهرمينوطيقا منهجاً في القراءة في إطار التفسير الديني؛ أو لنقل أنها العلم الذي يهتم بقواعد التأويل، تأويل النصوص المقدسة، ثم بعد ذلك اتسع مدلول هذا المصطلح إلى مجالات أرحب وأوسع، فأصبحت تمثل النظرية المنهجية لكل أنواع التأويل، فالهرمينوطيقا هي نظرية التأويل، مع الأخذ بنظر الاعتبار المسافة الفاصلة بين دلالة المصطلح على التفسير أو التأويل وبين حمل معناه على نظرية التفسير أو نظرية التأويل⁸⁵.

التأويل: "L interpretation" هو إستخلاص المعنى الكامن انطلاقاً من المعنى الظاهر؛ أي الانطلاق من المعاني المجازية بحثاً عن المعاني الحقيقية، ومن أهم المجالات التي يمارس فيها منهج التأويل النص الديني الحافل بالرموز والإستعارات والذي لا يخلو في كثير من الأحيان من الغموض والتناقض الظاهري، لكن منهج التأويل ينصب أيضاً على نصوص أخرى غير النص الديني، فنجد التأويل في الفلسفة والأدب والشعر والفن والقانون، كما أصبح التأويل كذلك الطريقة المثلى التي يعتمدها التحليل النفسي لسر أغوار اللاشعور

⁸² - المرجع نفسه، ص 26.⁸³ - المرجع نفسه، ص 57- 58.⁸⁴ - محمد علي حسين الحسني، أبحاث إبستمولوجيا التأويل، دار الرافدين، وزارة الثقافة، المكتبة الوطنية، تونس، ص 106.⁸⁵ - محمد علي حسين الحسني، أبحاث إبستمولوجيا التأويل، مرجع سابق، ص 106-107.

انطلاقاً من معاينة التصرفات اليومية العادية (من النسيان والزلات والهفوات...)؛⁸⁶ فالتأويل هو عملية استنطاق منهجي ومعرفي وإجرائي حفري لطبقات النص بحثاً عن الحقيقة المغلقة، ولكن هذا لا يعني أن القارئ يتوجه بمعوله لينهال على النص، بل يعني قراءة ودودة لمحتوياته.. إنه حوار مع النص، ذلك الذي يحيى عدة مرات بفضل القراءة والتأويل. لأنه يولد مرة واحدة في التاريخ، ولكنه يتحول عبر الزمن ويعمر طويلاً بفضل القراءة وإعادة القراءة، التي تنعشه باستمرار إلى ما لانهاية، فالقارئ ليس سجين النص بل يتحاور معه باعتباره أفقاً لغوياً يمتد إلى أفقه كالقارئ⁸⁷. إنَّ مسألة التأويل شائكة وشاسعة وعريقة ذات أبعاد فلسفية وسياسية وميتافيزيقية⁸⁸.

8-1 علاقة التأويل بالهرمينوطيقا:

الهرمينوطيقا... حدود المفهوم، هناك تداخل مفهومي واضح بين التأويل والهرمينوطيقا في الدراسات المعاصرة، أدى إلى نوع من الضبابية على تحديد مساحة كل مصطلح، وكيفية تعامله مع النص، مما أدى إلى حالة من الترادف بين المصطلحين في الإستعمال المعاصر، مع أنَّ ألفاظهما بحسب البيانات القاموسية جاءت بدلالة مغايرة⁸⁹. إن التأويل مصطلح إجرائي يتعامل مع النص في ضوء آليات معينة، فالهدف من التأويل هو التنقيب والكشف عن المعنى بعد إزاحة ستار الظاهر، أما دراسة الأصول المعرفية للتأويل كنظرية فهي دراسة خارج إطار التأويل، وإنما تؤسس له كنظرية، و"الهرمينوطيقا" بعدها نظرية التأويل تبحث في معرفية التأويل لا من حيث هو بحث إجرائي، وإنما نظرية ذات بعد إبستمولوجي داخل بوتقة الأصول الغربية⁹⁰، ولعل من أبرز ما يميز فن الهرمينوطيقا من التفسير، أن الهدف يتجاوز مستوى تفسير النصوص ونقدها وتزليلها في سياقها الثقافي، إلى التماس نظرية عامة في الإلهام، أي أن الهرمينوطيقا تتوسل بالنص معرفة مصادره وأصوله، أكثر مما تهتم بتفحص مظاهره وظواهره⁹¹. فغايتها التنقيب عن الجذور والأصول الأولى لظهور النص، متجاوز هدفه اللأسمى وهو التأويل والتفسير.

خلاصة القول:

إنَّ كل من هذه التعريفات هي تعبر عن مرحلة تاريخية، فكل تعريف هنا يحيلنا إلى لحظة هامة من لحظات التأويل أو ممر وممهّد إلى مشكلات التأويل وقضاياها، ويمثل كل تعريف وجهة يمكن منها النظر إلى

⁸⁶ - جلال الدين سعيد، معجم المصطلحات والشواهد الفلسفية، دار الجنوب للنشر، تونس، 2004، ص 90.

⁸⁷ - ناي بوعل، القراءة: لعبة اكتشاف النص، مجلة كتابات معاصرة، العدد 87، المجلد 22، شباط- آذار 2013، ص 86.

⁸⁸ - عبد اللطيف الزكري، المفاهيم النقدية، استراتيجيات التأويل لمحمد بوعزة، مجلة كتابات معاصرة، العدد 95، المجلد 24، أيار، حزيران 2015، ص 73.

⁸⁹ - محمد علي حسين الحسني، أبحاث إبستمولوجيا التأويل، مرجع سابق، ص 105.

⁹⁰ - محمد علي حسين الحسني، أبحاث إبستمولوجيا التأويل، مرجع سابق، ص 107-108.

⁹¹ - محمد بن عياد، مضارب التأويل، تقديم: محمد الخبو، جامعة صفاقس، كلية الآداب والعلوم الإنسانية باصفاقس، تونس، ص 14.

الهرمينوطيقا بمنظور مختلف، ويركز على جانب أو أكثر من فعل التأويل، وبخاصة تأويل النصوص، والحق أن محتوى التأويل نفسه يعتره التغير والتبدل والإختلاف وهذا بتغير المواقف والوجهات النظر. يبدو أن مجال الهرمينوطيقا قد اتسع من تفسير النصوص الدينية إلى تفسير كافة النصوص الأخرى، وهذا ما عمد إليه "شلايرماخر" حين أخرج الهرمينوطيقا من نطاق البحث في المعنى إلى وضع أسس تضمن الفهم المناسب للنص، كما نجد "دلتاي" يوازي ما بين الفهم والتفسير بالنسبة للهرمينوطيقا فيما يخص العلوم الإنسانية، أما "هيدغر" فيفسر لنا الهرمينوطيقا من خلال الفهم الأنطولوجي للوجود، لأنّ الفهم في نظره مرتبط بالبعد الأنطولوجي الذي يرتبط بوسيلة نقل الأفكار والمتمثلة أساساً في اللغة، وهذا ما اتبعه "غادامير" غير أنه يركز على ثلاثي التفسير والفهم والحوار، وبالنسبة "لريكور" فقد شرح الهرمينوطيقا على عدة مراحل مختلفة من كتاباته، لكن مغزاها العام كان يتمحور في إيضاح علي معنى الهرمينوطيقا من خلال قراءته لأهم التيارات التي عالجت الهرمينوطيقا.

قائمة المصادر والمراجع:

- 1- عبد المنعم الحفني، المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة في العربية والإنجليزية، الفرنسية، الألمانية، الإيطالية، الروسية، اللاتينية، العبرية، اليونانية، مكتبة مدبولي، القاهرة، مصر، ط3، 2000.
- 2- الحبيب بوعبد الله، مفهوم الهرمينوطيقا الأصول الغربية والثقافة العربية، مجلة الفكر العربي المعاصر، العدد 140 - 141، السنة الثامن والعشرون ربيع - صيف، 2007.
- 3- أمبر تو إيكو، التأويل بين السيميائية والتفكيكية، ترجمة وتقديم: سعيد بنكراد، المركز الثقافي العربي، ط2، 2004.
- 4- مصطفى العارف، الهرمينوطيقا والفهم، شلايرماخر، دلتاي، غادامير، مجلة مدارات فلسفية، العدد 14، صيف 2006.
- 5- محمد شوقي الزين، تأويلات وتفكيكات، فصول في الفكر الغربي المعاصر، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2002.
- 6- زهير الخويلدي، الهرمينوطيقا والغراماتولوجيا أوديسا المعنى في الفكر الغربي، هل هو لعب تفسيري أم حرية تأويلية؟، مجلة الفكر العربي المعاصر، العدد 132-133، شتاء- ربيع 2005.
- 7- نصر حامد أبو زيد، إشكاليات القراءة وآليات التأويل، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط4، 1996.
- 8- عبد الكريم شرفي، من فلسفات التأويل إلى نظريات القراءة، دراسة تحليلية نقدية في النظريات الغربية الحديثة، الدار العربية للعلوم، منشورات الإختلاف، الجزائر العاصمة، الجزائر، ط1، 2007.
- 9- عمارة ناصر، اللغة والتأويل مقاربات في الهرمينوطيقا الغربية والتأويل العربي الإسلامي، دار القدس العربي، 2013.
- 10- سعيد بنكراد، سيرورات التأويل من الهرموسية إلى السيميائيات، الدار العربية للعلوم ناشرون، دار الأمان،

منشورات الإختلاف، ط1، 2012.

11- العياشي ادراوي، الوعي الهرمينوطيقي، تحولات الواقع ودينامية النص: جان بيبان، هايدغر، شلايرماخر، غادامير، دلتاي، مجلة كتابات معاصرة، العدد87، المجلد22، شباط- آذار2013.

12- أحمد أبوزيد، بول ريكير وفن القراءة، أوراق فلسفية كتاب غير دوري، العدد الثامن، ديسمبر 2003 .

13- بومدين بوزيد، الفهم والنص دراسة في المنهج التأويلي عند شلايرماخر ودلتاي، الدار العربية للعلوم ناشرون 2008.

14- دافيد جاسبر، مقدمة في الهرمينوطيقا، تر، وجيه فانصو، الدار العربية للعلوم . ناشرون، منشورات الإختلاف، ط 2007، 01..

15- هانز غيورغ غادامير، فن التأويل أشباح العقيدة التيولوجية اعرف قديمك(ولكن) بعمق (شليغل، شلايرماخر، دلتاي، بولتمان، ...ودريدا)، ترجمة : محمد شوقي الزين، مجلة كتابات معاصرة، العدد37، المجلد10، أيار- حزيران، 1999.

16- نورين علوش، الهرمينوطيقا التأويل، التفسير والإستوغرافيا، كمجلة كتابات معاصرة، العدد97، المجلد25، تشرين الثاني، كانون الأول، 2015، .

17- محمد محجوب، شجرة الفينومينولوجيا، حوليات الفينومينولوجيا والتأويلية، مجلة وحدة البحث في الفينومينولوجيا والتأويلية بالمعهد العالي للعلوم الإنسانية، تونس، العدد1-6، المجلد1، ديسمبر 2006.

18- مصطفى كيحل، إشكالية المنهج التأويلي والأصل، (نصر أبوزيد، علي حرب، محمد شوقي الزين)، مجلة كتابات معاصرة، العدد 64، المجلد16، حزيران، تموز، 2007 .

19- مجاهد بوسكين، النظرية الهرمينوطيقية، من أحضان اللاهوت إلى فضاء التأويل (شلايرماخر، دلتاي، غادامير)، مجلة كتابات معاصرة، العدد91، المجلد 23، آذار-نيسان 2014، .

20- مجاهد بوسكين، النظرية الهرمينوطيقية، من أحضان اللاهوت إلى فضاء التأويل (شلايرماخر، دلتاي، غادامير)، مجلة كتابات معاصرة، العدد91، المجلد 23، آذار-نيسان 2014.

21- أسعد قطان، الهرمينوطيقا الحديثة وفهم النص، مجموعة من المؤلفين، التأويل والهرمينوطيقا، دراسات في آليات القراءة والتفسير، منشورات مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، بيروت، ط1، 2011، .

22- محمد شوقي الزين، مدخل إلى تاريخ التأويل، مجلة التسامح، عدد7، السنة الثانية، صيف 1425-2004

23- إبراهيم مذكور، المعجم الفلسفي، مجمع اللغة العربية، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، جمهورية مصر العربية، القاهرة، 1983.

24- محمد بوعزة، استراتيجية التأويل من النصية إلى التفكيكية، دار الأمان، منشورات الإختلاف، ط1، 2011.

25- محمد علي حسين الحسني، أبحاث إبستمولوجيا التأويل، دار الرافدين، وزارة الثقافة، المكتبة الوطنية، تونس.

26- جلال الدين سعيد، معجم المصطلحات والشواهد الفلسفية، دار الجنوب للنشر، تونس، 2004 .

- 27- نابي بوعلي، القراءة: لعبة اكتشاف النص، مجلة كتابات معاصرة، العدد 87، المجلد 22، شباط- آذار 2013 .
- 28- عبد اللطيف الزكري، المفاهيم النقدية، استراتيجية التأويل لمحمد بوعزة، مجلة كتابات معاصرة، العدد 95، المجلد 24، أيار، حزيران 2015، .
- 29- محمد بن عياد، مضارب التأويل، تقديم: محمد الخبو، جامعة صفاقس، كلية الآداب والعلوم الإنسانية باصفاقس، تونس.